

شرح أصول الكافي

[416] وكيف يمكن أن يدرك جسم الصور الحالة فيه ولو كان حلول صورة ما في الدماغ إدراكا للدماغ فلم لا يدرك الجدار النقش الحاصل فيه، فإن قيل هذا المزاج خاص للدماغ ولتركيبه من عناصر خاصة ليست موجودة في الجدار، قلنا فلم لا يدرك الدماغ الملاسة والخشونة والشكل والحفر وسائر ما حل في أجزائه من الإعراض والصفات وما الفرق بين الصورة المعقولة والعلوم الحاصلة في الدماغ وبين سائر صفات نفسه كالشكل والملاسة وكلاهما حالة جسمانية عارضة لجسم الدماغ والإدراك عندكم عبارة عن حلول الصورة في جسم له هذا المزاج والتركيب ولا مناص عن ذلك إلا بأن يلتزم بأن الإدراك ليس حلول حالة جسمانية في جسم بل شيء آخر من غير سنخ حلول عوارض الأجسام. وقال الشيخ لو كان العقل في دماغ لكان العقل أما دائم التعقل للدماغ وأما أن لا يتعقله أصلا، ونعم ما قال وهذا الوجه الخامس هو الحجة القاطعة. وقد مر في الصفحة 356 و 311 وغيرهما ما يؤكد المقصود وقد علمنا من تتبع ما يسمى في علم الأخلاق ردائل ومهلكات أنها جميعا تنسب إلى الغرائز الطبيعية المعلومة للقوة الواهمة كالشهوة والغضب والبعض والحسد فالسعادة كل السعادة في أخضاع الوهم وقهره حتى لا يسترسل في الشهوات ويتبع العقل ولا يمنعه من كسب الفضائل وقد ظهر من ذلك أن الوهم وما يتفرغ عليه ليس العالم الروحاني والتجرد في شيء ولاحظ له من القدس أصلا، والعجب أن الغزالي مع تبحره في هذا العلم نقض قول الحكماء في تجرد العاقلة بان الوهم أيضا لا ينقسم مدركاته فإن معنى الحسد والغضب والشهوة وأمثالها لا أجزاء مقدارية لها فلا ينقسم كمعنى الإنسان والحيوان فليست جسمانية وهذا عجيب من مثله لأن معنى الحسد والغضب وأمثالها كلى لا يدركه الحيوان البتة وهو مجرد من جهة كونه معقولا حاصلا للقوة والعاقلة وإنما الحاصل للحيوان مصاديق هذه المعاني فإذا رأت الشاة ذئبا عرضت في بدنها حالة تبعثها على الفرار وضربان القلب ونسمى نحن معاشر البشر تلك الحالة خوفا ولا تتعلل الشاة معنى الحالة ولا يعرف لها مفهوما ولا لفظا كاحسان الرضيع بوجع رأسه من غير أن يكون له تصور مفهوم إلا لم وجميع ما ذكره في التهافت في نقض تجرد النفس الناطقة من هذه القبيل ناش عن قلة الاعتبار. والخيال في اصطلاح الحكماء هو القوة الحافظة للصور المدركة بالحسن المشترك واختلف الحكماء في تجرد الخيال المصطلح عندهم فالشيخ الرئيس وأتباعه وأنكروا تجرده وجعلوه من عوارض الدماغ بمعنى إنه الة لا مدرك وشيخ الاشراق ومن تبعه ومنهم صدر المتألهين - قده - اعتقد واتجرده ولذلك أمكنهم الإلتزام بأن روح الحيوانا التي الخيال مجردة تبقى بعد موتها وهو متوقف على إثبات أن الحيوان درك وحدة ذاته طول عمره مع تبدل

